

مكافحة الأمية

للاستاذ عبد الله أمين

المراد بمكافحة الأمية ، تعليم القراءة والكتابة ، وليست القراءة والكتابة غرضاً مقصوداً لذاته ، وإنما هي أعظم وسيلة لأعظم غرض ، من أغراض الشعوب ، وأجلها قدراً ، وأبلغها في حياتها أثراً ، هذا الغرض هو مكافحة جهالة العقول ، بتثقيفها بالعلوم والفنون والآداب ، لترقيتها وصيانتها من الخطل ، ومكافحة ضلالة النفوس بتهديتها بالوعظ والإرشاد والوسائل العملية ، لتقويمها وصيانتها من الزلل .

فمكافحة الأمية وسيلة ، لمكافحة الجهالة والضلالة ، أو للتثقيف والتهديب ، أو لترقية العقول والنفوس ، وهذا الغرض ألزم ما يلزم حياة الأمم ، لأن الشعوب إذا ضعفت مداركها ، وتدهورت أخلاقها ، صارت كالحیوان الأعجم ، بل أضل منه سبيلاً ، إذ أن لكل حیوان ، غريزة ذات حدود ضيقة ، فاذا أشبعت هذه الغريزة - وإشباعها حين - امن الناس شره .

أما الإنسان ، الإنسان الضعيف الجبار ، فإنه فريسة لعوامل قاسية عنيفة كامنة فيه ولا قبل له بمقاومتها ، وهي تذلّه وتستبعد ، وتملك قياده وتسخره لما تشاء ، وكيف تشاء ، وما أسوأ ما تشاء ! فيصبح هذا الإنسان الضعيف ، عبداً ذليلاً خاضعاً ، لهذه العوامل ، وشيطاناً مفترساً جباراً ، لا حد لطغيانه على الجماعة الإنسانية ، ولا ضابط لسلطانه عليها ، وبطشه بها ، إن لم يستطع ذلك جهراً ، استطاعه سراً ، والسر ميدان الشرور الأرحب ، وهذه العوامل طائفتان طائفة عقلية وطائفة نفسية .

فأما الطائفة العقلية ، فهي الأوهام والوساوس ، والتصورات والهواجس ، التي يثيرها الإدراك؟ السقيم الناقص ، ويوحىها العقل الضعيف الباطن ، فيلسج الناس من خيوط هذه الترهات الواهية ، عقائد وآراء سقيمة ، لا تستند إلى سند من العقل والمنطق ، ويضربون من نسج هذه الخيوط قباباً وخياماً ، سداها الضلال ، ولحمها الفساد والإفساد ، ويقمون فيها يدبرون المكائد الوبيلة ، فيوردون الجماعة الإنسانية موارد الهلاك ، ثم يتردون هم أنفسهم بعد ذلك فيها .

وأما العوامل النفسية ، فهي الشهوات البهيمية ، والرغبات الشيطانية ، التي تتأجج نيرانها في نفوسهم ، ولا يطفئ لها فيها ، إلا المطالب الدينية ، والرغائب الخسيسة ، وهي كلما نالت منها مطلباً ، ازدادت لها طلباً ، وفيها رغباً ، وليس لشعبها وريها حد ولا نهاية . إنها تزيد الجسم والشهوة قوة وبهيمية وتضعف الروح وتميت الوجدان ، حتى لا يبقى لشيء من ذلك أثر - وحينئذ يصبح الإنسان حیواناً بل شراً من الحيوان ، ويعيش في الأرض فساداً ، وهذه العوامل النفسية ، شر من العوامل العقلية .

فلا بد لتحرير العقول والنفوس البشرية ، من هذه العوامل السيئة الخبيثة ، ولوقاية البشر آثارها الوييلة ، من تثقيف الشعب ، بالعلوم والفنون والآداب ، وتهذيبه بالوعظ والإرشاد ، وبالمسائل العملية ، التي تكوّن العقول والنفوس ، تكويناً صالحاً سديداً ، وتميهاً وتقويها ، وتقدّرها على العمل لحفظ الحياة ، ولتوفير السعادة .

ولا بد لهذا التثقيف والتهذيب ، من أن يعتمد على دعائمين ، الأولى القراءة والكتابة والثانية المشافهة ، فلايين المتعلمين ، في أنحاء الشرق والغرب ، وفي مراحل التعليم المختلفة ، من أن خلقت المدرسة للآن ، يعتمدون في دراساتهم على القراءة والكتابة وعلى المشافهة . ولا بد لكل متعلم يوماً من الأيام من أن يقتصر في دراسته في أكثر الأوقات والحالات ، على القراءة والكتابة وحدهما ، وهما مع ذلك أفضل من المشافهة من وجوه كثيرة لا محل لذكرها هنا ، وحسب القراءة والكتابة فضلاً عن أن العلوم والفنون والآداب ، والشرائع ما حفظت ودرست ، إلا بتدوينها بالقراءة والكتابة .

فلا بد إذن لتربية الشعب المصري ، عقلاً ونفساً ، من تعليمه القراءة والكتابة ، مع العلوم والفضائل ، في المدارس الإلزامية في سن التعليم الإلزامي ، وفي مدارس الشعب ، من بعد سن التعليم الإلزامي ، إلى الخامسة والأربعين ، أما من تجاوزوا هذا السن ، وزهدوا في تعلم القراءة والكتابة ، فلا بأس بتثقيفهم وتهذيبهم بالمشافهة وحدها ، وأو عشر تثقيف وتهذيب ، فإن هذا أولى من العلوم ، وهم مع ذلك إلى فناء .

إن أبناء أمة أمية ، في ربوعها نساءنا ، وبين أحضانها درجتنا . لتلك ندرك إدراكاً صحيحاً سليماً صادقاً ، مقدار التخبط العقلي والنقسي ، الذي تورط في هذه الأمة العزيزة ، فكثير من عوامها تفسد فطرتهم السليمة ، بتأثير هذه العوامل العقلية والنفسية السيئة المنفضية في الأمة ، فيدركون كثيراً من الأشياء ، إدراكاً مقبياً ، ويسلكون في كثير من أعمالهم مسالك عوجاً ، تلامم إدراكهم وكثيراً ما يستحسنون ما يضرهم ، ويستقبحون ما ينفعهم ويسلكون إلى أغراضهم سهلاً متبوية غير مشروعة ، ويتكبدون السبل المستقيمة المشروعة فيفضي بهم ذلك إلى أسوأ الحواقب ، ومسرّع الحياة المصرية ، ملئاً بالمآسي التي تجلبها الجهالة والضلالة ، وإذا لم يكن فيها عيائنه إلا الفقر والمرض ، وهما ثمرة من شر ثمارها لكنى .

فالتربية الشمسية أصراً لا بد منه ، ولا نجاح لهذه التربية إلا بتعمم القراءة والكتابة ، والقضاء على الأمية القضاء المبرم ، الذي لا مرد له .

وإن أساس التقدّم الإنساني ، الفردي والاجتماعي هو التثقيف والتهذيب ، وما من حضارة قامت في أمة من الأمم قديماً وحديثاً إلا على دعائم ثابتة ، من عقائد للأمة وأخلاقها ، أو من أجهها العقلي والنقسي .

وهذا المزاج هو الذى يطبع ، هذه الحضارة بظاهمه ويقدها على مثاله شبرا بشبر وذراعا بذراع .

والحضارة الحديثة التى بلغت قمة مجدها ، قائمة بلا شك على أساس متين ، من العقول الناضجة والنفوس السامية ، فلا بد لكل شعب يريد أن يتحضر . هذه الحضارة الحديثة من أن يكون على درجة رفيعة من الرقى العقلى والنفسى ، وأن يكون على اتصال دائم بوسائل هذا الرقى ، وهى العلوم والفنون والآداب ، والمكارم والفضائل الخلقية ، ومصدر هذه الوسائل ، وهى الكتب والمجلات والصحف والمطبوعات الدورية ، ولا سبيل إلى بلوغ هذه الدرجة الرفيعة من الرقى ، ولا إلى الاتصال الدائم بوسائله ومصادره إلا بالقراءة والكتابة ، فالقراءة والكتابة مفتاح الرقى العقلى والنفسى الذى يفتح لنا المنطق من أبوابها ، ويمهد لنا السبيل إلى دريها وساكنتها ، كالمفتاح الكهربى الذى يبر لنا مصابيح الكهرباء ، ويبدد الظلمات وتيسر السير فى الطرقات .

وقد أصبح التحضر بهذه الحضارة الحديثة ، أمر لا بد منه لكل أمة تريد أن تعيش ، فى هذا العصر الحديث . حرة مستقلة . عزيزة كريمة مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة ، لأن هذه الحضارة ، بما أوتيت من قوة العلم والتحويل والابتداع ، وتقدم وسائل النقل البرية والبحوية والبحرية ، قد حطمت جميع الحواجز بين الأمم ، وخطت بعضها ببعض فى صعيد واحد ، خطأ لا سبيل لأمة إلى التخلص منه ، والركون بعد ذلك إلى عيشة العزلة والانفراد ، التى كانت ميسورة فى العصور الأولى لبعض الأمم النائية .

ومصر وهى حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ، قد أصبحت مضطرة اضطرارا ، إلى مشاركة أرقى الأمم حضارة فى هذه الحياة ، وليس إلى تخلصها من هذه المشاركة سبيل ، بأية حال من الأحوال ، فإذا لم تقلدهم فيما وصلوا إليه ، من وسائل التقدم الحقيقية ، ودعائمه الأصلية وهى العلم والفضيلة ، ولم تعد للحياة ما أعدوا لها من قوة تحطمت وأصبحت كرماد اشتدت به الريح فى يوم حاصف ، وزالت من الوجود بفنائها فى هذه الأمم القوية ، لأن البقاء فى هذه الدنيا للأصلح ، ولا صلاح ولا بقاء إلا بصلاح العقول والنفوس ، ولا سبيل لإصلاح العقول والنفوس ، فى أمة تعد بالملايين ، كالأمة المصرية ، إلا بتعميم القراءة والكتابة فما أوجبنا إلى مكالمة الأمية ، وإلى ما قعدت لأجله . وهو تربية الشعب تربية عقلية نفسية .

يجب أن تكون مكالمة الأمية ، وتثقيف الشعب وتهذيبه ، فى مقدمة ضرورة الإصلاح جميعا ، فقد أجمع المصلحون فى مصر ، على أن شر ما يقتك بهذه الأمة لكرامة ، ثلاثة جيوش : جيش الفقر ، وجيش المرض ، وجيش الجهالة والضلالة ، وقد سئمت الأمة هذه الحال ، ونهضت شعبا وحكومة لمحوها وإزالتها وهذا حسن وخير كثير ، لأن ضروب الإصلاح ، منسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها برقاب بعض ، فمن الخير أن تحارب هذه الجيوش الثلاثة صرة واحدة . فیر أنه إذا خيف تفرق الجهود والأموال وعجزها عن

مكافحة الأمتحذه الجيوش الثلاثة في وقت واحد مجتمعة ، وروى أن تحارب أحاد ، وسنتل أى هؤلاء الجيوش الفتاكة أحق بالمكافحة قبل زميله ، أجبث بلا تردد " أحتها ياتفاق الجهد والمال في مكافئته هو جيش الجهالة والضلالة " لأننا لا نستطيع أن نحارب الفقر المرض محاربة جدية مظفرة ، ويقضى عليهما القضاء المبرم الأخير ، إلا بتدقيق العقول وتهذيب النفوس ، ليعرف كل إنسان الضر والنافع ، وطرق كسب العيش ، ويستطيع أن يساهم في صيانة حياته وتحقيق سعاده ، بما أوتي من حسن الإدراك ومثانة الخلق ، وما يلائم هذا العصر من هذا وذاك . وإلا فهل ينتظر أن يكدر عشر الشعب وهو الفريق المثقف المهذب منه ، ليمول تسعة أعشاره الأخرى ويحاول أن يحرر هذا العدد الضخم من الفقر والمرض ، ويترك مصدر الفقر والمرض ، وكل بلاء آخر ، وهو الجهالة والضلالة ، يوقه عن المساهمة في تحريره من البلاد ، بل يجعله عقبة في سبيل هذا التحرير . لا شك أن بعض العامة تجو فطرم السليمة من عوامل الإفساد العقلية والنفسية ، وهم مع ذلك ذوو قرائح صافية ونفوس عالية ، فيستطيعون أن يشقوا طريقهم في الحياة ، بدون قراءة وكتابة ، وبدون معرفة علم وفضيلة ، وأن يسعدوا ، ولكن هؤلاء قلة لا يبنى عليها حكم .



هذه هي الأمية ، وهذا هو شرها ، فليس بكثير إذا ما بذلته وتبذله ، وزارة الشؤون الاجتماعية ، ولا ما بذله ويبذله الأفراد والجماعات من المواطنين في سبيل مكافئتها ، وليس بكثير ما يتفق في سبيل هذه المكافئة من ملايين الدنانير ولا من جهود وأوقات .

إن الأمية شر الأعداء ، لذلك اختاروا للتعبير عن محورها لفظ " مكافئة " أى محاربة وحل في الأعداء عدو أخطر من الجهالة والضلالة وأحق بالمكافحة ، وحل رفع بعض الأمم إلى ذروة القوة والجهد إلا سمو العقول والنفوس ، وحل حط بعض الأمم إلى أسفل الدرجات إلا الجهالة والضلالة أو انحطاط العقول والنفوس .

ولا بد لمكافحة الأمية من مدارس شعبية ليلية ، والمدارس الشعبية لكل المدارس ، تقوم على أركان هي المنهاج والمدرس والمكان والأثاث ، والكتب والأدوات المدرسية .

نأما المنهاج فلا يمكن وضعه ، إلا إذا حرف الغرض المقصود منه ، وهذا الغرض يمكن أن يفهم ، من صدر هذا المقال ، وهو إنقاذ عامة الشعب المصري ، مما هو فيه من جهالة العقول ، وضلالة النفوس ، وإنها ضد نهضة عقلية نفسية ، ترفعه إلى منازل الشعوب الراقية ، التي ألقى رغم أنفه في ميدانها ، وأصبح مضطرا اضطرارا إلى مشاركتها ومنافستها ، في هذه الحياة المعقدة كل التعقيد .

وأمامنا الآن منهاج ، أقره المجلسان ، وهو الوارد في المادة الثانية من قانون مكافحة الأمية ونشر الثقافة الشعبية وهي " بفرض على الأميين الذين يخضعون لأحكام هذا القانون تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والمقاييس والموازين والمكاييل والتقود المستعملة في المملكة المصرية مع قسط مناسب من الثقافة العامة " .

وهذا المنهاج على لمحاوزه وقتله كاف لتحقيق هذا الغرض فإن ما ذكر فيه من القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والمقاييس والموازين والمكاييل والنقود جدير بأن يرفع عامة الشعب المصرى إلى درجة محودة من الرقى الفعلى والنقى لأن القراءة والكتابة مفتاح لأبواب العلوم والمعارف والآداب والفضائل ولأنهما والحساب وما معه خير عون للإنسان على فهم أعماله وضبطها ، أما الرقى الأعلى المرجو فالعبارة الواردة في هذه المادة وهي " مع قسط مناسب من الثقافة العامة " باب من أوسع الأبواب ، التي تفضى إلى أرقى درجات الرقى الثقافى ومقياس صادق لكل درجات الثقافة فى كل زمان ومكان ففى الإمكان أن نعد هذا القسط المناسب من الثقافة العامة هو القسط الذى تقدره لنفسها الدول العظمى التي فرضت مشاركتها ومناقشتها علينا فرضاً ، فكما سارت هذه الدول فى ميدان هذه الثقافة العامة شوطاً وبلغت منها درجة ، كان قسطنا المناسب منها ، أن ندرك هذه الدول فى هذا الشوط وتبلغ الدرجة التي بلغتها منه .

أما القسط المناسب من مواد التنقيف والتهديب ، لكل زمان ومكان ، وأولاهها جميعاً بالتقديم ، وبالأبداً يخلو منه منهاج التربية الشعبية ، أبدأ الآباد ولا ينبغى للإنسان أن يجمله فهو ما كان " الإنسان نفسه وكل ما يتصل به من صنع الله وصنع البشر " موضوع بحثه .

وفى مقدمة ذلك تركيب جسم الإنسان ، ووظائف أعضائه ، وما ينفع هذا الجسم وما يضره ، من طعام وشراب ولباس وأثاث ومسكن وأعمال وإذا كان الإنسان إنساناً بعقله ونفسه ، وكان بين الجسم والعقل والنفس ارتباط وثيق ، فالذى يلى تركيب جسم الإنسان ووظائف أعضائه ومعرفة ما يضره وما ينفعه ، هو تقويم إدراكه بمجربة البدع والخرافات والأوهام والضلالات ، فى أمور الدين والدنيا جميعاً وتقويم أخلاقه بمقاومة ما فيه من رذائل وتأييد ما فيه من فضائل بالنصوص الفحلية والأدلة العقلية ، ثم يلى ذلك معرفة حضارة الآباء والأجداد ، وتكوين البلاد الجغرافى والاقتصادى والسياسى والإدارى والحقوق والواجبات الوطنية ، ثم خواص ما فيها من نبات وحيوان ، ومخترعات حديثة وتركيبها ، وإن شئت فقل علوم التشريح ووظائف الأعضاء والصحة والدين والأخلاق والجغرافيا والتاريخ ، والتربية الوطنية والنظام التعاونى وعلوم الحياة والكيمياء والطبيعة بايجاز طبعاً .

وأما المدرس فقد كفلته المادة السابعة من هذا القانون أعظم كفالة وهي لا يجب على المعلمين فى جميع المدارس الأولية والابتدائية والثنية والثانوية الحكومية والحرية أن يقوموا

بمهمة تعليم الأميين كلما طلب منهم ذلك وزير الشؤون الاجتماعية بالانفاق مع وزير المعارف العمومية فإذا لم يوجد منهم العدد الكافي جاز لوزير الشؤون الاجتماعية تكليف غيرهم من المعلمين سواء أ كانوا من الموظفين أم فيهم بالتدريس مع مراعاة ظروفهم وأوقات فراغهم“ وهذه الكفالة بأمرين :

الأمر الأول فرض تعليم الأميين على جميع المدرسين في مراحل التعليم العام المختلفة وهي : الأولى والابتدائية والثانوية ، والفنى التجارى والزراعى والصناعى ، وهؤلاء كثيرون كثرة ، فيها الكفاية لتعليم الأميين .

والأمر الثانى فرضه على المعلمين من غير هؤلاء الفنين وفي البلاد المصرية عدد كبير جدا ، ممن أتوا الدراسة في كليات الأزهر الشريف ، وفي كليات الجامعة ، كليل بأن يسد النقص إذا لم يكن غير المعلمين الفنين كافيا .

وكل ما يربحى فى هذا الموضوع ، ألا يعهد بتدريس القراءة والكتابة والحساب وثلاثها مع المنهاج وعماده إلا إلى المدرسين الفنين على أن يزودوا بكتب فى الهجاء على أحدث الطرق وهى الطريقة الصوتية والكتابة الوصلية وعلى ألا يقتصر ذلك على كتاب واحد لافساح المجال لتجربة أكثر من كتاب وكذلك الحساب . أما غير الفنين فى تعليم الأطفال والشبان ، من رجال الدين والزراعة والطب والهندسة والحقوق والآداب وغيرهم ، فيعهد إليهم بتدريس موضوعات الثقافة العامة .

وأما الأمكنة فقد كفلتها المادة الثامنة من القانون أعظم كفالة كتلك ” وتؤدى الدراسة فى معاهد التعليم على اختلاف أنواعها حكومية أو حرة عددا معاهد التعليم العالى فإذا لم تصح تلك المعاهد لأغراض الدراسة جاز أن تؤدى فى الأمكنة الآتية :

(١) دور العبادة ، (٢) دور الحكومة العامة ، (٣) صالات الاجتماعات والمحاضرات ، (٤) الأماكن التى يقدمها أصحابها وتكون صالحة لهذا الغرض .

فإذا تعذر وجود أمكنة صالحة للتدريس جاز أن يكون التعليم فى الهواء الطلق مع مراعاة فصول السنة وأسباب الوقاية الوقائية من تقلبات الجو “ .

وأما الأثاث فهو العقبة الكأداء ، فى سبيل هذا العمل الجليل الخطر ، إذ لابد للمعلمين من طامة الشعب من أن يجلسوا كما يجلس تلاميذ المدارس على مقاعد ومكاتب أو مساند يستندون إليها حين الكتابة ، وتخوت التلاميذ فى المدارس الإلزامية فى القرى صغيرة ضيقة يجد فيها الكجارج ضيقا وأذى . جديرين أن يصر فاهم عن المدارس والدراسة ، أو يعوقاهم عن الفهم والعمل .

وإذا كان فى الشر خيار ، فإن الخيار فى هذا الأمر عندى أن يجلس الكبار من المعلمين على مقاعد من جريد النخل ويستعاض عن المكاتب أو المساند التى أمامها بأن يكتبوا على

على ألواح كاللوح الإردواز يستندون بها على ركبهم فان ذلك خير من حشر هذه الأجسام الكبيرة حشرا يضايقهم ويضرمهم وينفرهم في تحوت الأطفال الصغيرة .

وأما الإضاءة الصناعية فشرطها تعليق مصابيحها في السقوف ، وخيرها ما علفت مصابيحها على الجائنين عن أيمن المتعلمين وشمائلهم . والحجرة التي تبلغ مساحتها ثلاثين مترا مربعا تضاء إضاءة متوسطة بأربعة مصابيح من مصابيح النفط الكبيرة قوة كل منها ٣٠ شمعة بأن يماق مصباحان منها عن أيمن المتعلمين وآخران عن شمائلهم على أبعاد ملائمة متساوية على أن يمتنى بنظافة زجاجها وذبالاتها اعتناء تاما وخير من هذه بلا شك أن تكون المصابيح من ذوات النفس والذبالات (الزتاين) البيض وخير من هذه وتلك مصابيح الكهروء على أن يراعى فيها جميعا أن تكون على جانبي المتعلمين لا في السقوف . وفي أقسام وزارة المعارف الليلية لتعليم الأميين أقسام تضاء بمصابيح من النوعين الأخيرين ، ومنها ما علفت فيه هذه المصابيح على جانبي المتعلمين على النحو السابق ذكره لا في السقوف .

وأما الكتب والأدوات فان كل متعلم يحتاج على أكبر تقدير إلى كتب في الهجاء وكتيب في الحساب وكتاب في الثقافة العامة وإلى لوح من حجر الإردواز وطل أقل تقدير يحتاج إلى كتاب في الثقافة العامة وإلى لوح من الإردواز إذ في الامكان الاستغناء عن كتيبى الهجاء والحساب يطبع كل درس من دروس الهجاء وكل درس من دروس الحساب على لوح كبير من الورق المقوى بخط كبير يراه التلاميذ إذا علق أمامهم على لوح الطباشير على أن يكون في كل مدرسة مجموعات من ألواح دروس الهجاء ومجموعات من ألواح دروس الحساب بقدر عدد فصولها .

وقد فكرت وزارة المعارف على عهد مراقب التعليم الأؤلى فقيده مصر والشرق والعلم والتعليم المرحوم الشيخ عبد العزيز جوايش في طبع دروس الهجاء على هذا النحو قصدا في النفقات غير أن المشروع لم يتم وفي الإمكان إعادة النظر فيه .

وأما لوح الإردواز فاني أفضله على الورق لصلابته ، وإمكان وضعه على الركبة حين الكتابة عليه إذا لم يتيسر المكتيب الملائم ، ولأن الكتابة البيضاء على اللوح الأسود أقل إجهادا للنظر من الكتابة السوداء على الورق الأبيض ، ولسهولة المحو والإثبات فيها ، ولأن اللوح الواحد يغني عن مئات الكراسات .

عبد الله أمين